فى قصيدة ما ، على نحو ما نراه فى مناجاة شوقى لابن زيدون « يانائح الطلح » أو حواره مع ابن سبنا « الشيخ الرئيس » ، أو حديثه عن البحترىّ « وعظ البحترى إيوانُ كسرى » أو إشاراته إلى أبى نواس وهو بصدد معارضة قصيدة لأى من أولئك الشعراء ، أو فى تسمية بيته بكرَمْة الأخير .

وحين نتجاوز بُعْدَ خصوصية التجربة ، واستمرار تفردها وتميزها تظل أساليب المعالجة الجزئية فى حاجة إلى دراسة تحليلية ، يمكنها أن تُثرى أبحاثَ المعارضات الشعرية ، فكأنك أمام مادة تصويرية تبعث على التأمُّل الدقيق ، وتحرى المزيد من الدقة فى تحديد ما فيها من ألوان التشابه أو صور الاختلاف ، وعندئذ تبدو الصورة الكلية مطروحة لهذه المعالجات الجزئية التى تستبطن كل مافيها ربطا بمستويَيْن :

الأول : مستوى المادة الجاهزة التى وقع عليها اختيار الشاعر ، أو ظلت راسخة فى ذاكرته ، حتى مال إلى استخراجها الآن . وبدأ فى معارضتها عبر لوحات رسمتها ريشته ، وأملاها عليه وجدانه من خلال ميله إليها أو انفعاله بأشباهها .

الثانى : درجة الإضافة التي تطرحها طبيعة الفروق الفردية بين الشعراء ، والتى تضمن للمعارض حق الإبداع والابتكار والإضافة ، وتحول دون اتهامه بالانسياق التام خلف المادة الجاهزة ، أو إغفال ظهور « الأنا » فى زحام مادة التقليد وعالم المحاكاة ، وكأنما ارتضى مسخ تجربته أو تشويه إبداعه ، أو التضحية بخصوصيته الفردية .

ومن خلال هاتَيْن الزاويتين لابد أن تنكشف كل المقاييس الجمالية التى تحتويها الصور الجزئية ، وقس على ذلك- بالضرورة - مايتعلق ببقية مقومات القصيدة موضوع الرؤية التحليلية ، حتى تضعها تحت مجهرَيْن لامجهر واحد ، أو حين تعمد إلى تعدد القراءات التى تزيدها وضوحا كما تزيد درسها النقدى عمقا وأصالة وإضافة وابتكارا .

فإذا ما تجاوزنا منطقة الاستشكاف هذه ، وبانت لدينا صيغ التفرد من خلال أساليب المعالجة الجزئية ، أمكن أن نتأمل أسباب السبق أو التخلف بين العمليَنْ موضوع المعارضة ، وهو موقف أيضا يحتاج إلى روِّية وموضوعية معا ، تلك الروِّية التى تصحب الدرس الأدبى حين تجمع بين ظروف القديم ومادة الجديد ، وكذا تأمُّل السياق الاجتماعى للغة هنا أو هناك ،